

## الحلقة (٢٢)

﴿ قول الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾.

كل ما مضى هذا التحذير والوعيد والوعد والترهيب والترغيب والإنذار والإشارة كل ذلك ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ إذا هذه تنمة ذاك الخطاب الذي بدأ مصوراً صورة من يتعاطى هذه المعاملة المالية بطريق غير صحيحة، وهي الربا ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ يوم القيامة ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾.

إذاً ذكرنا سلفاً بعض الجزئيات والمباحث مما له علاقة بالآية من حيث بعض المفردات وما إلى ذلك، - وهذه ضرورة لا بد من التنبيه والإشارة إليها- أن أكثر أمة عُرِفَتْ في التاريخ بالتعامل الربوي هم اليهود، ونجد أكثر من آية في كتاب الله عز وجل تشير إلى هذا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ وكما في قوله: ﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ وكما في قوله: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ العلة والسبب هو المراوغة واللف والدوران والتحايل على النصوص ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

إذاً هذه الأمة (وأعني أمة يهود) هم أكثر الناس تعاطياً للربا، وكثيراً ما يذكر الكتبة إن قديماً وإن حديثاً وإن قبلاً وإن بعداً عن دور ما لليهود في المعاملات الربوية.

فإذا هذا التحذير وهذا الوعيد وهذا التهديد وهذا التهويل لمن لم يتعظ بموعظة أتمته من الله عز وجل وهذه الموعظة هي كتابه سبحانه وتعالى وهي هذه الآيات فإذا انتهى فأمره إلى الله.

## ﴿ مفردات الآية: ﴾

﴿ قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾: يحكم في شأنه يوم القيامة، وليس من أمره إليكم شيء، فلا تطالبوه به.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى الذات العلية، ولم يقل وأمره إليه، بل قال ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ تهويلاً وتعظيماً ووضعاً للأمر في نصابها، فمن كان أمره إلى الله عز وجل في الخير فذاك السعيد وكفى به، ومن كان أمره إلى الله عز وجل في أمرٍ متوعد عليه بعذاب أو عقاب فذاك الشقي، فيأياك ثم إياك والاقتراب منه لأنه شقي، وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء، فلا تطالبوه به.

◀ واختلفوا في عودة ضمير ﴿أَمْرُهُ﴾ الهاء هنا:

● قيل الضمير عائد إلى الربا، أي: وأمر الربا إلى الله عز وجل في تحريمه على عباده واستمرار ذلك التحريم.

● وقيل الضمير عائد إلى ما سلف، أي: أمره إلى الله في العفو وإسقاط التبعة فيه.

● وقيل الضمير يرجع إلى المربي، أي أمر من عامل بالربا إلى الله عز وجل في تثبيته على الانتهاء أو الرجوع إلى المعصية.

◀ الإعراب:

◀ قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: أن الجملة هنا خبر المبتدأ وهو ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ هذا المبتدأ، ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ هذا الخبر.

❁ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: أي إلى فعل الربا حتى يموت، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: فأولئك اسم الإشارة البعيد لهؤلاء الذين لم ينتهوا عن المعاملة الربوية، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الملازمون والباقون أبدياً.

في الآية وعيدٌ شديدٌ للمرابين، فأما أهل التوحيد فهم يدخلون النار غير مخلدين، يمكنون فيها ما شاء الله عز وجل، ثم يخرجون منها برحمة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والربا كبيرة من الكبائر كما هو معلوم.

وأما الكفار فمخلدون فيها، بدليل الحصر في قوله تعالى: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن أكل الربا والمعاملات الربوية ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ إن قلنا هذا السالف مالاً فما أخذه من رأس ماله فحسبك به ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ إن شاء عفا عنه بعد أن ينال عقابه إن كان موحداً، أما إن كان كافراً فهو من الملازمين من أصحاب النار، وما سمي صاحب إلا لأنه ملازم له فهو مخلد في النار.

◀ قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ﴾: المحق النقص والذهاب، ومعناه: أنه تذهب بركته وإن كان كثيراً في الدنيا.

وقيل: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ في الآخرة والأول أرجح.

في الحقيقة نحن نجد أن كثيراً من المترابين أو المرابين نجد لهم بريقاً وحضوراً مالياً ضخماً، بيد أن هذا المال قد يشقى به المرابي في الدنيا، وقد يذهب الله المال كله، فأنت خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

فدخلت إلى الدنيا من باب وخرجت من نفس الباب.

ونحن نعلم أن الله عز وجل هو الفاعل الحقيقي للأشياء، وهو الذي يضع بركة المال، وهو الذي يعطي هذا وفق حكمته، ويمنع هذا وفق حكمته، ويفقر ذاك بحكمته، ويغني هذا بحكمته، ولكن من قال إن المال كثرة أو قلة يدل على أن هذا الإنسان قد استفاد وأفاد منه ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ إذاً ما يخرج لنا أو ما نراه ظاهراً من الأمور الفارهة ومن الأشكال الجميلة، هذا كله لا يعطي صورة حقيقة للشخص الذي يملك هذا أو ذاك.

فإذا لم يبارك الله عز وجل المال فالإنسان يعجب أنه يقع على يديه أو جيبه أو في حساباته المبالغ الطائلة، لكن إذا جاء في أمر وبحث وين هذا المال؟ قليل، وكان في ذهنه أن بحسابه مليار ريال، ويسعد دقيقتين ويشقى ما تبقى من الليل والنهار ويخاصم هذا ويقاتل هذا.

يأتي يوم من الأيام يبحث وإذا المبلغ قليل فيعجب، أو أن المحق أمرٌ معنوي، فهو محق، وما يدخل في تجارة إلا ويخسرهما لماذا؟ لأنه لا يعرف فيه لله حقاً، فالله عز وجل لم يبارك له في هذا المال، وحقيقة من قال إن المال كثرة وقلة يدل على أن هذا الإنسان ذكي أو حصيف أو عاقل أو أنه اقتصادي، لا كلا، لقول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وفي قراءة ﴿أَكْرَمَنِي﴾ بإثبات الياء، إذا أنعم عليه ساعة قال الله المستعان والله يحبني (طبعاً هذا الجاهل) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لا {كَلَّا}، ليس الأمر كما تقول.

بل إن شخصاً أسطورياً رجل أعمال كبير في يوم من الأيام مرّ على التاريخ وهو (قارون) -وما أكثر القوارين- فهذا الرجل ادعى أن الله عز وجل لم يعطه المال إلا لأنه يحبه، بل إن بعض خفاف العقول قالوا العبارة وأثبتها عليهم القرآن ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ إذا حظيظ عند الله عز وجل، أنعم الله عليه أكيد لأن حظه قايم ورجلاً متحرك ووروا الخ.

لكن العلماء العقلاء نهوا وذكروا هؤلاء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَحَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

فالنتيجة معلومة فالرجل أجرم في حق الله عز وجل ونفسه وأمته وبلده فشقى وأشقى، وهناك المال الرشيد الذي أُعطي سليمان عليه السلام بن داود عليهما السلام، هذا الملك النبي عليه السلام أُعطي ما لم يعطه أحد من الخلق ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ هذا سليمان لم يقل الله يحبني، وإن كان ربه اصطفاه واجتباها وهو أعلم به، فلم يقل هذا ولم يفتر ولم يلعب بالمال، ولم يؤذ عباد الله عز وجل، إنما استعمل هذه النعمة في مرضاه الله

والدعوة إلى الله عز وجل وإظهار حقيقة التوحيد، في استعمال المال بما ينفع العالم الموجود في زمانه، ذلك أنه عليه السلام استطاع بأمر الله عز وجل أن يعرف ويعلم لغات كل شيء من جن وطير و... الخ، ولكنه لم يفتر ولأنه أعلم الخلق بالله عز وجل استعمل هذا المال في ما يرضي الله عز وجل، ﴿وَقَالَ رَبُّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ولم يقل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ولم يقل: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾ ولم يكن ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ لا، بل استعمل هذا المال والملك فيما يرضي الله عز وجل، وفيما يصلح أمر البشرية، ولذا فسلام عليه وسلام على أبيه وسلام على إخوتهما من الأنبياء والمرسلين، إنهم أعلم الخلق بالله عز وجل، فلذلك يصرفون هذه الدنيا الفانية بما فيها من مباحج بما فيها من قصور بما فيها من دول يصرفون كل ذلك ابتغاء وجه الله عز وجل، فسلام عليهم.

### ✽ مناسبة الآية لما قبلها:

المناسبة بين قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والآية التي بعدها ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

المناسبة بين الآيتين جد واضحة، فإنه لما بالغ تعالى في الزجر عن الربا، وكان قد بالغ في الآيات المتقدمة في الأمر بالصدقات، ذكر هنا ما يجري مجرى الدعاء إلى ترك الصدقات وفعل الربا وكشف فسادها، وذلك لأن الداعي إلى فعل الربا يحصل المزيـد في المحق والصارف عن الصدقات هو الاحتراز عن نقصان الخير، فيبين تعالى أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة، وأن الصدقة وإن كانت نقصاناً في الصورة إلا أنها زيادة في المعنى.

✽ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: الكفار: فعال من الكفر، والعرب تسمي المقيم على الشيء بهذا فتقول: فلان فعال للخير أمراً به.

والأثيم: فعيلاً بمعنى فاعل، وهو الآثم، وهو أيضاً مبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام والتمادي فيه، وذلك لا يليق إلا بمن ينكر تحريم الربا، فيكون جاحداً.

إذاً ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ هذه آيات تتحدث عن الأمرين معاً عن أن لو تاب المرابي لحصل له أن خرج من هذا الوعيد، وأما إن لم يتب واستمر على تعاطيه الربا وأكله الربا فإذاً هو من أصحاب النار مخلد فيها، والله عز وجل لا يحب كل كفار أثيم، فكان تذييل الآية بالكفر والإثم يدل على أن الربا لا يتعاطاه المؤمن والمسلم والمحسن، وإنما هو من أفعال الكفار، لأن الكافر لا حساب يفكر فيه ولا عقاب يستذكره ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ﴾ هم يتمتعون، والقرآن ليس معنياً بذكر

الجزئيات (يأكل) بعد الأكل ماذا؟ قل ما شئت؟ المناكح والمراتب وما إلى ذلك، لكن كل ذلك متاع قليل لا يساوي شيئاً، إن عاش ١٠٠ عام لا بد أن يموت، وإن عاش مليار من السنوات لا بد أن يموت - على شديد المبالغة-.

فإذاً الكافر هو أستاذ الربا، لأنه لا يرتدع لعقاب، ولا يرجو ثواباً، فإذاً هو يعنيه أن يجمع الأصفار إلى مالا نهائية، البشرية مأمورة بأن تعيد مسار الاقتصاد فتتعامل وفق العدالة الإنسانية، كل ذلك موجود في الكتاب والسنة.